

في تظاهرة الدعم لغزة • نجاح الدعوات لمقاطعة إسرائيل

فايزة زروالا



في مقدمة التظاهرة الجديدة التي نظمت في باريس، وجمعت ما بين 3500 و 8000 متظاهر، يوم السبت في 9 آب/أغسطس، كان هناك رجل يوزع منشوراً مكوناً من أربع صفحات، يشتمل على لائحة بالمنتجات الإسرائيلية، أو المنتجة في المستوطنات، التي ينبغي مقاطعتها. ويتم تفصيل أنواع المنتجات التي تملكها كل مجموعة من الشركات المستهدفة.

هذا هو حال شركة "لوريال"، التي يرد ذكرها مع "غارنييه" و "فيشي". وتشرح الفقرة الأخيرة من المنشور دواعي مقاطعة هذه المنتجات. ففي حالة شركة مستحضرات التجميل العملاقة، ينبغي مقاطعتها لأنها استثمرت "الملايين في إقامة وحدة إنتاج لها في مغدال هعامك، وهي مدينة في شمالي إسرائيل".

ويشهد هذا الشكل من دعوات المقاطعة نجاحاً معيناً بين المتظاهرين الذين يأخذون المنشور الذي يوزع عليهم. كما في حالة لينا، مضيعة الطيران ذات الـ 29 ربيعاً، التي "كانت دوماً تدعم الفلسطينيين"، لكنها لم تتحول إلى مناضلة [في سبيل القضية الفلسطينية] إلا منذ بداية عملية "الجرف الصامد".

فهذه المرأة الشابة "المصدومة من صور الأطفال المذبوحين" راجعت، منذ ذلك الحين، نمط حياتها. فصارت تدخن سجائر إسبانية، ولم تعد تترتد "كارفور"، ولا تشتري مشروبات تنتجها شركة "كوكا كولا".



ولينا واثقة من صحة الأخبار التي تنقلها. فهي تحرت مواقع في الأنترنت وموقع فيسبوك لتضع لائحة للمنتجات، أو لعلامات المنتجات، التي عليها أن تتجنبها. وهي مقتنعة بفعالية هذه الطريقة، وتعتقد أنه في حال قيام العديد من المناضلين بتتبع خطاها، فسيكون لهذه الطريقة تأثير حقيقي.

وتقول لينا: "لا يهمني إن كان فرانسوا هولاند يعتبر هذا [المقاطعة] كعمل شائن. ألا يشكّل قتل المدنيين العزل عملاً شائناً؟". ففي فرنسا، ومنذ صدور "نشرة" ميشيل أليوت-ماري [وزيرة العدل] لعام 2010، المعمول بها إلى اليوم، تمنع الدعوة إلى مقاطعة بلد ما. لكنه منع لم يردع المتظاهرين في الواقع.

إن رشيد وناديا، 35 عاماً و 34 عاماً، هما أكثر خبرة في مجال مقاطعة المنتجات الإسرائيلية. فهما قد شاركا في كل تظاهرات دعم فلسطين، بما فيها تلك التظاهرات التي جرى منعها، كما هو حال تظاهرة شارع باربيس في 19 تموز/ يوليو.

ويحمل رشيد، في التظاهرة، لافتة تحث على مقاطعة إسرائيل. ويقول هو ولينا إنه مبدأ يلتزمان به في حياتهما اليومية منذ سنوات، ويشرحان أنهما يسعيان إلى تجنب "كل ما من شأنه أن يساهم، من قريب أو من بعيد، في تمويل مشتريات السلاح [الإسرائيلية] أو مواد بناء المستوطنات".

وعندما تقوم ناديا بشراء حاجياتها، فهي تتوجه وفقاً للمعلومات المخزنة على هاتفها الذكي، كي تتعرف إلى المنتجات التي ينبغي مقاطعتها، وتقول: "طبعاً هذا يستلزم ضعفي الوقت، لكنه يسمح بالذهاب إلى أبعد مدى".

ويتفق المشاركون في التظاهرة مع هذا الرأي: فبالنسبة إليهم، لا يكفي التظاهر، بل لا بد من المقاطعة التي هي فعل يمكن القيام به في الحياة اليومية.

وفي موضع آخر من التظاهرة، كانت تقف مارتين، ذات الـ 61 ربيعاً، التي تنتقل ما بين جزر الأنتيل والمغرب، وتنتهز فرصة وجودها في باريس للتظاهر لأول مرة. وهي تقول أيضاً بأنها مصدومة من "صور الفلسطينيين الذين لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم". ومن أجل مساعدتهم، قررت أن "تضع لائحتها" للمنتجات الإسرائيلية التي يجب عليها ألا تشتريها، وتقول: "إنها [المقاطعة] فعل ملموس، فالأقوياء لا يعرفون سوى سلطة المال. وهو فعل سلمي، ونتائجه إيجابية. وفي الواقع، فإن هذا ما تبقى لنا لنفعله".



أما فرانسواز، ذات الـ 82 ربيعاً، والتي تسير في التظاهرة مع أعضاء الجمعية المنظمة لها، وهي "فرنسا-فلسطين تضامن"، فهي تتفق مع هذا الموقف، وتذكر هذه المناضلة القديمة أنها قامت بمقاطعة جنوب إفريقيا في زمن التمييز العنصري. وهي تقاطع إسرائيل اليوم، ولا تشتري منتجاتها من الفواكه، أو الخضار أو الأدوية، لأننا "ننسى غالباً - كما تقول - أن الدعم الأقوى لإسرائيل نقدمه نحن".

بينما إيمان، وهي من نشطاء حركة "مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها" (ب.د.س) في فرنسا، والتي تمثل رأس حربة حملة المقاطعة التي انطلقت في عام 2009،

عند قيام إسرائيل بعملية "الرصاص المسبوك" ضد غزة، فهي تقول إن صفحة هذه الحركة على موقع فيسبوك "باتت على وشك الانفجار نتيجة سيل رسائل التشجيع والطلبات".



وكانت الحركة قد أطلقت هذه الحملة " كرد وحيد على إفلات إسرائيل من العقاب. فنحن ندعو إلى مقاطعة المؤسسات والمنتجات الإسرائيلية". ويراعي الفرع الفرنسي لهذه الحركة لائحة المنتجات التي وضعتها الحركة الأم الفلسطينية. وهكذا، فإن شركة كوكا كولا، والتي هي غالباً الشركة الأولى المستهدفة من المتظاهرين، لا تدرج ضمن هذه اللائحة.

وعند وصول التظاهرة إلى ساحة الأنفاليد، قام أعضاء (ب.د.س) بحركة خاطفة، تمثّلت في قيام عدد منهم بالتمدد على الأرض وعلى أجسادهم ملاءات بيضاء ملطخة بعصير البندورة، للدلالة على الضحايا الفلسطينيين.